به أن يذكر القراء بماضيه هو فى الصعلكة والتسكع، وبما كتبه المهباوى فى « الاخبار » وعبد القادر حمزه فى « البلاغ » عن ماضى العقاد من جهتى السياسة وغيرها ، حتى يحذر قليلاً فى ما يريد خلقه من عصبية سياسية موهومة ضدنا ، بينما نحن نحتقر هذا الاتجار بالسياسة كلّ الاحتقار ونتحدّى أىّ مخلوق يدّعى مايدّعيه العقاد من أننا نعمل بايعاز أىّ سلطة أو بمكافأة أى سلطة لمناوأته المزعومة كما أوهم أحد أذنابه فى كتاباته ، وكما ذكر العقاد نفسه تكراراً فى مجالسه إيهاماً بعظمته وطعناً فى شرفنا بهذا السلاح الخسيس ، بينما شرفنا الوطنى وشرفنا الشخصى كلاهما أسمى من أن ينال منه أىّ انسان على الاطلاق فضلاً عن مثل العقاد وأذنابه .

الى أصدقاء ابولو

وبعد هذا ، نعلن أصدقاء (أبولو) بأننا تلقّينا ردودا شتى على ما وُجّه الينا من حملات ، ولكننا آثرنا أن نكتفى بملاحظاتنا المتقدمة التى نجعلها الأخيرة من نوعها فى هذه المجلة وأن ننزّه صفحاتها تنزيهاً مطلقاً عما يجوز أحياناً فى الصحف اليومية ، فان فى تأييد وزارة المعارف المصرية ووزارة المعارف العراقية والمعاهد العلمية فى الشرق والغرب لهذه المجلة معنى سامياً لا ينبغى تكديره بالدخول فى المنازعات التى لا تسلم غالباً من أوضار الأحقاد .

ذكرى المتنبى

أذاعت طهران اقامة تذكار للفردوسى شاعر الشاهنامة كما سبق القول ، والا ن تذيع الأقطار العربية الاحتفال المرتقب بذكرى المتنبى ، فأقول فى ذلك :

تمهيد

ان المتنبى الشاعر المشهور الكندى ترك لنا آثارا شعرية ليست بأقل مما تركه

غيره من شعراء الأعاجم ، فاذا لم يكن قد نظم ملاحم كالياذة اوميروس وشاهنامة الفردوسى وكلستان السعدى وفردوس ملتون وروايات شكسبير وتأملات لامرتين وقصائد هيكو وكوميدية دنتى ومنظومات سرفنتس وغيرها فقد ترك لنا ديوان شعر ملأه بالحكم والحماسة والاوصاف البليغة والافكار الرائعة فى وصف الحروب والأسد وغيرها مما خلد له الذكر وحمل كثيراً من العلماء على شرح ديوانه حتى كان شرّاحه أكثر من أربعين وآخرهم الشيخ ناصيف اليازجى فى (العرف الطيب) مما طبعه ولده الشيخ ابراهيم ، الى غير ذلك مما يدل على مكانته الكبيرة فى عيون العلماء قديماً وحديثاً ، وفى السنة الآتية يمر على وفاته ألف سنة وهو رفيع القدر ذائع الذكر.

من هو المتنبي ؟

سُمى بذلك لأنه ادعى النبوة فى بادية السماوة وأسر وحبس . وهو الشاعر العربى اللغوى الجميل الطراز فى أساليبه والفيلسوف المبدع فى حكمه فقد ملأ حلب الشهباء بمدائح سيف الدولة بن حمدان حاكمها وسار الى مصر فلم يقصر فى أوصافها وأجاد فى كل ما نسجته براعته وابتدعته فكرته وأنتجته مخيلته ومثلته بلاغته مما تناقلته الرواة فى كل عصر وأكبرته العلماء فى كل مصر حتى فى الاندلس والمغرب فلقبوا بعض شعرائهم باسمه تيمناً مثل ابن هانىء (متنبي المغرب) ، فهو أبو الطيب أحمد بن الحسين الكندى الذى طار ذكره بين الشعراء وكان مولده فى الكوفة سنة ٣٠٣ هـ (٩١٥ م) وتوفى قتيلا سنة ٣٥٤ هـ (٩٦٥ م) فلو عمر أكثر من ذلك لما ترك مقالاً لقائل ولا مجالاً لجائل ، وكان سبب قتله قوله مفتخراً :

أنا الذى نظر الأعمى الى أدبى ... وأسمعت كلماتى من به صممُ
الخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفنى ... والسيف والرمح والقرطاس والقلمُ

آراء الكتاب فيه

ومما يروى عن الشيخ ناصيف اليازجى شارح ديوانه كما سبق أنه رأى أحدهم وقد كتب على نسخة من ديوان المتنبي هذين البيتين :

أسأل الله إله العر ... ش ذا الأفضال ربى
حسنَ لفظِ الأرجا ... فيِّ وحظَّ المتنبى

فكتب تحتهما من نظمه :

قد تمنى حسنَ حظٍّ فأرانا حسنَ لبِّ
طلب الممكنَ إذ لم يَرجُ نظمَ المتنبي

وكان اليازجي مولعاً بالمتنبي وشعره حتى تحداه بمنظومه وكان يحفظ أشعاره ، ومن آثار ذلك أنه لما وقف على طبع معجم (محيط المحيط) لبطرس البستاني وكان بمدرسته الوطنية ملاء المعجم شواهد من المتنبي مما وعاه في حافظته النادرة ! وكثيراً ما كان يقول : المتنبي يمشي في السماء والشعراء على الأرض !

ومع ذلك فقد انتقد المتنبي بعضهم وهجوه حسداً مثل ابن لنكك البصري النحوي وشاعر آخر عيره بانه كان سقاء بالكوفة بقوله :

أيُّ فضلٍ لشاعرٍ يطلب الفضلَ من الناس بكرةً وعشيا
عاش حيناً يبيع في الكوفة الماء وحيناً يبيع ماء المحيا ؟!

وكتب بعضهم في مدحه وهجائه ونقده ، وردَّ آخرون عليهم أقوالهم ، وذلك مما لم يسبق لغير المتنبي من هذه العناية الفائقة بشعره .

وقال ابن الاثير في محاسن المتنبي بمثله السائر :

« وأحسن من هذا قوله في قصيدته التي مطلعها (عقبي اليمين على عقبي الوغى ندم) :

فما تركن بها خلداً له بصرٌ تحتَ التراب ولا بازاً له قدمُ
ولا هزبراً له من درعه لبدٌ ولا مهاة لها من شبهها حشمُ

وهذا من المليح النادر فالخلد استعارة لمن اختفى تحت التراب خائفاً ، والباز استعارة لمن طار هارباً ، والهزبر والمهاة استعارتان للرجال المقاتلة والنساء من السبايا » (اهـ) .

وعقد باباً للمفاضلة بين المتنبي والبحتري في وصف الأسد وأورد أبياتاً من القصيدتين البائية للبحتري واللامية للمتنبي ثم عقب على ذلك بقوله :

« وسأحكم بين هاتين القصيدتين والذي يشهد به الحق وتتقيه العصبية أذكره ، وهو أن معاني أبي الطيب أكثر عدداً وأشدّ مقصداً . ألا ترى أن البحتري قد

قصر مجموع قصيدته على وصف شجاعة الممدوح فى تشبيهه بالأسد مرة وتفضيله عليه أخرى ولم يأت بشىء سوى ذلك ؟ وأما أبو الطيب فانه أتى بذلك فى بيت واحد وهو قوله :

أمعفِّرَ الليث الهزبر بسوطهِ لمن ادَّخرتَ الصارمَ المصقولا ؟

ثم إنه تفنن فى ذكر الأسد فوصف صورته وهيأته ،ووصف أحواله فى انفراده وفى حبسه ، وفى هيأة مشيه واختياله ،ووصف خلق بخله مع شجاعته وشبهه الممدوح به فى الشجاعة وفضله عليه بالسخاء . ثم انه عطف بعد ذلك على ذكر الأنفة والحمية التى بعثت الأسد على قتل نفسه بلقاء الممدوح ، وأخرج ذلك فى أحسن مخرج وأبرزه فى أشرف معنى .

والبحترى وإن كان أفضل من المتنبي فى صوغ الالفاظ وطلاوة السبك فالمتنبي أفضل منه فى الغوص على المعانى،ومما يدلك على ذلك أنه لم يعرض لما ذكره فى أبياته الرائية لعلمه أن بشرا (١) قد ملك رقاب تلك المعانى واستحوذ عليها ولم يترك لغيره شيئاً يقوله فيها ،ولفطانة أبى الطيب لم يقع فى ما وقع فيه البحترى من الانسحاب على ذيل بشر لانه قصر عنه تقصيراً كثيراً . ولما كان الأمر كذلك عدل أبو الطيب عن سلوك الطريق وسلك غيرها فجاء فى ما أورد مبرزاً .

واعلم أن من أبين البيان فى المفاضلة بين أرباب النظم والنثر أن يتوارد اثنان منهما على مقصد من المقاصد يشتمل على عدة معان كتوارد البحترى والمتنبي هنا على وصف الأسد . وهذا أبين فى المفاضلة من التوارد على معنى واحد يصوغه هذا فى بيت من الشعر وفى بيتين ويصوغه الآخر فى مثل ذلك ، فان بعد المدى يظهر ما فى السوابق من الجواهر وعنده يتبين ربح الرابح وخسر الخاسر . . . » اهـ .

وأنشد المعتمد بن عباد اللخمى صاحب قرطبة واشبيلية فى الاندلس يوماً ما فى مجلسه بيت المتنبي من قصيدة :

إذا ظفرت منك العيونُ بنظرةٍ أثاب بها معي المطيَّ ورازمهْ

---

(١) يريد بشر بن أبى عوانة فى قصيدة قتله للأسد التى مطلعها :

أفاطم لو شهدتِ ببطن خبتٍ وقد لاقى الهزبرَ أخاكِ بشرا

وقد شطرها محمود قبادو التونسى تشطيراً زادها سلاسة ومعانى وحسن وصف

وجعل يردده استحساناً وفى مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الاندلسى فأنشد ارتجالاً :

لئن جاد شعرُ ابن الحسين فانما تجيد العطايا واللّمى تفتح اللها
تنبأ عجباً بالقريضِ ولو درى بأنك تروى شعرَه لتألّها !

ومن بلاغات المتنبي الفائقة انه وصف ببيتين ما وصفه أوميروس كبير شعراء اليونان في الياذته بأبيات ، وكان للمتنبي براعة بديعة فيهما ، وهما :

صدمتهم بخميسٍ أنت غرته وسمهريته فى وجهه غمـــم
فكان أثبت ما فيهم جسومهم يسقطن حولك والأرواح تنهزم !

وهذان البيتان مما فات سليمان البستاني ذكرهما حاشيته على قول أوميروس كعادته فى الالياذة العربية .

ومن أولى ما نختم به كلمتنا عن المتنبي علمه باللغة واطلاعه على غريبها وحوشيها حتى كان يستشهد بكلام العرب نظماً ونثراً فى كل ما يسأل عنه ، وسأله الفارسى عن الجموع على وزن فعلى فقال له فى الحال : ليس عندنا إلا جمعان وهما حجلى وظربى ، فبحث الفارسى ثلاث ليال فى كتب اللغة فلم يجد لهما ثالثاً !

ومن نثره قوله فى رسالة موجزة : وصلتنى وصلك الله معتلاً وقطعتنى مُبلاً ، فان رأيتَ أن لا تحبب العلةَ الىّ ولا تكدر الصحة علىّ فعلت إن شاء الله تعالى (اه) الى غير ذلك ؟

زحلة (لبنان) عيسى اسكندر المعلوف